فى ميدان الفلسفة أتى بها «هربرت سبنسر» وفى ميدان العلوم الخاصة أتى بها «داروين» و «ولاس».

ويمكن تلخيص مذهب «داروين» فى العناصر الآتية :

١ — قابلية الأنواع للتغير، ونزوعها إليه، وهذا العنصر يعتبر حجر الزاوية فى نظرية داروين. إلا أنه لم يستطع تعليل هذا التغير، حتى جاء علم الوراثة فقد له يد المعونة لتأييد نظريته (١).

٢ — الصراع من أجل البقاء.

٣ — بقاء الأصلح. أو الانتخاب الطبيعى، وهو القانون اللازم من تنازع البقاء.

٤ — التكيف مع البيئة.

٥ — وراثة الصفات الملائمة.

٦ — الأصل الحيوانى للإنسان.

وهذه العناصر جميعا قد أثيرت من قبل «داروين»، وتناولتها الأبحاث العلمية والتأملات الفلسفية النظرية أيضاً. ولكن «داروين» هو الذى استطاع أن يقوم بجمعها فى صورة رائعة، وعمل متكامل فى أبحاثه عن أصل الكائنات الحية وتطورها، فى دقة، وصبر، وأناة، وولاء مطلق للبحث بالملاحظة والتجريب.

وقد مهد مذهب داروين البيولوجى الطريق لتطبيق النظرية فى مجالات أوسع: فى التاريخ، والأخلاق والإجتماع، والاقتصاد، وكل ما يتصل بالحياة والكون من علوم، بل وفى الإنسان أيضا.

---

(١) طبائع الأحياء : ٢٤١

« ولم تعد تنظر إلى الإنسان على أن قيمته فى ذاته ، وإنما نظرت إليه على أنه لا بد وأن يكون الفرع الأخير فى شجرة نسب ترجع فى أصلها إلى العالم الحيوانى والنباتى ، وبتعبير أعم : قد فسرت كل شىء لا بالصور العليا للطبيعة ، وإنما بصورها الدنيا » (١)

وترتكز نظرية « داروين » على فكرتين سائدتين هما :

« الحى يلتج مثل نفسه » .

و « لا تستخدم الطبيعة القالب الواحد مرتين » .

فكل ذرية من الأحياء تشبه والديها بفعل الوراثة ، ولكنها على الدوام تختلف عنها نتيجة للتغايرات وهذه التغايرات - قد تكون مفاجئة أو منقطعة وغير مستمرة .

وقد تكون : متصلة ، أو متدرجة ومستمرة .

وتختلف الصورتان الواحدة منهما عن الأخرى أختلافا بينا .

فالتغيرات المنقطعة لا توجد بينها أشكال أو صور متوسطة تربط ما بين التغير الأخير ومتوسط النوع من الأفراد .

وأما التغايرات المتصلة : فتوجد على الدوام سلسلة من الصور المتوسطة تربط ما بين أى ضرب والصورة المتوسطة للنوع .

وهذا الطراز من التغاير المتصل هو الذى أقام عليه « داروين » نظريته وكان يرى أن ذلك التغاير هو نتيجة للصدفة المحضة وحدها فلم يكن فى رأيه ثمة سبب أو علة فى ظهور ضرب يتغاير فى اتجاه معين دون سواه . وهذه التغايرات العفوية — ويجب أن نؤكد أنها كانت من نتائج المصادفة

---

(١) الفلسفة الإنجليزية فى مائة عام : حـ ١ : ١٠٧

المحضة وحدها ، فلم يكن هناك قصد ، أو غاية من حدوثها — كانت هى المواد الأولية لنظرية « داروين » عن التطور » (١)

ومع أن « داروين » كان على علم بأثر الوراثة فى الأحياء ، ولكنه لم يكن يعلم شيئاً عن الكروموسومات والجينات . فعجز عن فهم طريقة إنتقالها ، وتأثيرها ، وقد سبب له ذلك كثيراً من الحرج فى كلامه عن التطور . إذ أن أخطر الأمور عند العلماء تقريرهم أشياء لا يستطيعون إثباتها والتدليل عليها بالبراهين العملية »(٢) .

وكان أول ما لفت إليه الأذهان هو : معدل الإزدياد المرتفع لتناسل الكائنات العضوية .

فجميع أنواع النبات والحيوان تتناسل وتزداد بمعدلات هائلة لدرجة يمكن معها أن تعطى نسل زوجين من أى نوع منها سطح الكرة الأرضية فى فترة وجيزة ما لم يكن هناك من العقبات والعوائق ما تقضى بتعطيل ، أو فناء الجزء الأكبر منها .

و « الجنس البشرى وهو أبطأ هذه الكائنات فى سرعة توالده ، يمكن فيه لرجل وامرأة أن ينجبا عشرة أولاد قبل أن يبلغا سن الأربعين ، كما يمكن لهذه الذرية أن تعيد الكرة دون جهد كبير . فلو عمد آدم وحواء لإنجاب الذرية بهذا النحو ، ولو قدر لأولادهم أن يفعلوا فعلهم ، ثم تبع الأحفاد النهج ذاته فلن ينقضى ألف عام إلا ويبلغ عدد الناس مبلغاً من الضخامة تضيق رقعة اليابسة بهم وقوفاً كتفاً إلى كتف ، ولو سار التوالد هل هـــذا المنوال لاستدعت الحال بعد ألف عام أخرى وقوف الناس بعضهم على رءوس بعض »(٣) .

---

(١) قطرات فى تطور الكائنات الحية ٥٣ جراهام كانون .

(٢) طبائع الأحياء : ٢٣٩

(٣) الفيلسوف والعلم ١٨٤ ، ٢٨٥ جون كيمنى .

وقد كان « داروين » متأثراً فى ذلك بنظرية « مالتوس » فى السكان ، وبرأى « لينيوس » فى النبات(١) ومع ذلك فقد لاحظ « داروين » أن أى جماعة عادية من الأحياء يظل عددها ثابتاً على وجه التقريب ، وهذا يعنى أن السلالة كلها — إلا ما يحفظ للطبيعة توازنها — تعدو عليها العوادى فى بعض مراحل حياتها ، ويغلب أن يكون ذلك فى أطوار حياتها الأولى ، ولا شك أن بقاء هذه التناسلات جميعاً بسبب أزمة عنيفة فى الغذاء ، ومن هنا كان لا مفر من التنافس والتنازع ، بل والتناحر بين أفراد الجماعة ، أو الجماعات المختلفة ، ويحاول كل منها جاهداً أن يكون من الأفراد القلائل التى يكتب لها البقاء فى صراعها من أجل الحياة .

ومن ثم كان مبدأ « الصراع من أجل البقاء » . مبدأ مقرراً من مبادىء الطبيعة .

ويرى « داروين » أن هذا الصراع ليس عملا مقصوداً ومتعمداً تلجأ إليه الكائنات ، وإنما ينشأ تلقائياً عن التغيرات المفيدة لبعض الأفراد دون البعض ، والتى تهىء هذه الأفراد وتجعلها صالحة للبقاء فالأفراد الممتازة التى تفضل غيرها بوراثة الصفات الملائمة ، والتى تكيف نفسها بالطبيعة المحيطة بها سوف تحبوها الطبيعة بالبقاء ، وهذه هى التى تنتجها الطبيعة من بين الأفراد غير الصالحة .

وهذه العملية هى ما يسميها « داروين » بالإنتخاب الطبيعى .

وقد كان يرى أن خصائص الكائنات فى تغير وتحول مستمرين ، وأن التغايرات الناتجه بالصدفة المحضة هى التى تقدم المواد الأولية للتطور ولكن من المحتم أن تكون تلك التغايرات نافعة ، ثم يأتى من ذلك الإنتخاب الطبيعى فينتخب أنسبها لظروف الحياة التى يعيش فيها الكائن المتطور

---

(١) قطرات فى تطور الكائنات الحية : ٥٣ ، ٥٨ + تكوين العقل الحديث : حـ ٢ : ١٤٨

« وما لم تحدث هذه التغايرات النافعة فعلا فإن الإنتخاب الطبيعى لن يكون فى مقدوره عمل شىء ألبته ».

وهكذا فإنه مع مرور الزمن ، ومع استمرار تغـــير ظروف الحياة فى هذا الكوكب مضى الإنتخاب الطبيعى ينتقى للبقاء تلك الصور التى ظهرت مصادفة والتى كانت أكثر قرباتها ملاءمة ، وتكيفا للظروف المتغيرة »(١) .

ولكن كيف تتأتى الميزات الخاصة ، والتغايرات النافعة فعلا حتى يؤدى الإنتخاب الطبيعى عمله؟ هنا نجد قصور مذهب داروين ، حيث لا نجد عنده جوابا لهذا السؤال .

ثم ما هو الإنتخاب الطبيعى وما هو عمله ؟ إن ما هو صـــالح للبقاء سيبقى ، وما هو غير صالح للبقاء سيفنى ، ولا شىء غير ذلك فماذا يعنى الانتخاب الطبيعى هل يعنى شيئاً غير هذا ؟!

ثم إنه من الصعب أيضاً الإعتقاد بأن مثل هذه التغايرات الشائعة الخفيفة بين الآباء والأبناء قادرة على الإستمرار وبالتالى على إحداث مثل هذه التنوعات البعيدة والعجيبة .

ولذلك نرى علماء الأحياء يرفضون هذا الرأى ، ويرون أن نظرية « دى فريز » (١٨٤٨ — ١٩٣٥ م) القائلة بأن التغيرات القابلة للتوريث يجب أن تكون واسعة ، ومفاجئة ، أو قفزات كاملة ، أو تبديلات تعتمد على القليل من التغيرات الواقعة والملاحظة — هى أقرب إلى القبول من رأى « داروين » .

ولكن هذه النظرية أيضاً لا تزيد إيضاح كيفية حدوث مثل هذه التغيرات ، أو أسباب حدوثها .

---

(١) نظرات فى تطور الكائنات الحية : ٧١ جراهام كانون .

ومن ثم فقد عمد بعض العلماء إلى إحياء نظرية « لامارك » التي تشير إلى أن فعل البيئة على الكائن الحي يميل إلى إظهار تحورات وراثية ، وأن هذه الصفات المكتسبة يمكن أن تورث ولكن أكثر العلماء قد أنكروا إطلاقا إمكان وراثة مثل هذه الصفات ، ولهـــذا : « يسلم علماء الحياة اليوم بأننا لا نعرف شيئاً عن أصل الأجناس الجديدة بالمعنى الدقيق للكلمة(١) .

ولكن « داروين » على رغم ذلك يتمادى في تقرير نظريته فيقول : لا تمر بي خلجة من الشك في أن ما كنت أقطع به من القول بأن كل نوع من الأنواع قد خلق مستقلا بذاته خطأ محض ، وإني اليوم لعلى — يقين — بأن الأنواع دائمة التغاير ، وأن الأنواع التي تعتبرها من توابع الأجناس هي أعقاب متسلسلة من أنواع طواها الإنقراض ، وعلى الاعتبار ذاته تكون كل التنوعات التابعة لنوع ما أعقابا متسلسلة من ذلك النوع .

وإني فوق ذلك لشديد الإقتناع بأن الإنتخاب الطبيعي هو السبب الأكبر ، والمهيء الأقوى لحدوث التغايرات ، وإن لم يكن السبب الأوحد الذي تفرد بإبرازها إلى عالم الوجود »(٢) .

وينتهي « داروين » إلى أن الأنواع الحالية على اختلافها يمكن أن ترجع إلى أصل واحد ، أو بضعة أصول نمت ، وتكاثرت ، وتنوعت في زمن طويل بمقتضى قانون الإنتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح(٣) .

---

(١) تكوين العقل الحديث : حـ٢ : ١٥٠

(٢) أصل الأنواع : تشارلز داروين : ٧٢ المقدمة إسماعيل مظهر ، (وقوله وإن لم يكن السبب الأوحد يعني أن هناك أسبابا معاونة كالإنتخاب الجنسي الذي تنتقل عنه الصفات الممتازة من السلف إلى الخلف .

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة ٣٥٢ يوسف كرم

الإنسان:

ولقد عمد «داروين» بعد تردد إلى تطبيق نفس الأفكار التي تقدمت على الإنسان نفسه نشأة، وتطوراً، كما أعلن ذلك عندما نشر كتابه «تسلسل الإنسان» عام ١٨٧٤ م، ففي «أصل الأنواع» ترك «داروين» مسألة أصل الإنسان معلقة، ولكنه عاد فرأى أن ليس هناك موجب لاستثنائه من قانون التطور، وهو يصرح بذلك في كتابه «تسلسل الإنسان» فيقول: إن الفرق بين الإنسان وبين الحيوان فرق بالكم أو بالدرجة فقط، وأن المسافة بين القوى الفكرية في الحيوان من أدنى الفقريات، والقوى الفكرية لفرد من القردة العليا أكبر من المسافة بين القوى الفكرية في القرد، وبينها في الإنسان.

كما يقول: «إن الحيوان يكتسب الفطنة — والذكاء — وإن له ذاكرة، وذوقاً فنياً، وغريزة تعاطف فلا يسوغ نفي العقل عنه»(١).

فنحن «لا نستطيع أن نفرد الإنسان بأصل مغاير لأصول ذوات الثدي مادامت مشابهته الطبيعة لها بالغة ذلك المبلغ البعيد، أو أن نفرض أنه قد نشأ بطريقة مخالفة للطريقة التي نشأت بها تلك الحيوانات»(٢).

نعم إن بعض «علماء التطور لا يقولون إن الإنسان قد انحدر من القرد — مباشرة — وإنما يعتقدون أن الإنسان والقرد لهما سلف مشترك»(٣).

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ٣٥٣ يوسف كرم.

(٢) ملقى السبيل ٢٨٧ إسماعيل مظهر.

(٣) مجلة عالم الفكر م٣ ع٤ ص١٣ نقلا عن الإسلام واتجاهات المادية المعاصرة ٣١

وسواء تناسل الإنسان وتطور عن القرد مباشرة كما يرى بعض التطوريين، أو بوسائط قد انقرضت ولم تعرف بعد أو أنهما معاً يرجعان إلى أصل مشترك بينهما فالذي يجمع عليه التطوريون هو: أن الإنسان يرجع إلى أصل حيواني قد تطور عنه ونشأ منه.

ويعتمد التطوريون لإثبات نظريتهم على المقارنات، وأوجه الشبه الكثيرة بين الإنسان وغيره من الحيوان. لاسيما الحيوانات الراقية كفصائل «السيمياء» التي يقال إنها الحلقة السابقة للإنسان.

ولكن هل من الضرورة أن يكون الإنسان منحدراً عن هذه الأنواع من الحيوانات لمجرد وجود شبه بينه وبينها؟ إن الهوة ما تزال سحيقة بين الإنسان وبين أرقى الحيوانات، وما تزال هناك فروق ضخمة تفصل مابين الإنسان وبين هذه الأنواع من القردة الراقية تتمثل في كثير من الوجوه، منها أن الإنسان هو الذي يستطيع «أن يقف وحده منتصب القامة، له مخ تام. ويد صناع، ويعيش في مجتمع له تنظيم سياسي، ويرتبط مع أفراد جنسه بوجدان وضمير. وتراث تتوارثه الأجيال. ويستطيع أن يتحرر من ربقة الطبيعة، بل ويغير من سطح الأرض، فهو الحيوان الوحيد الذي أحدث أعمق التغيرات فوق سطح هذا الكوكب. بل بدأ يخرج من نطاقه ويرتاد الآفاق، ويجوب أنحاء الفضاء»(١).

يقول ا. يوسف كرم:

«وقد نسلم بالتطور — ولكن — نرانا مضطرين إلى اعتبار الإنسان

---

(١) أصل الإنسان: ٨ نقلا عن الفكر المادي الحديث: ٩٣٢ د. محمود عثمان.

نوعاً قائماً بذاته بسبب مايختص به من علم، وفن، وصناعة، وخلق، ودين، وهي مظاهر للعقل لا نظير لها ولا أصل في سائر الحيوان »(١) .

ولكن « داروين » كغيره من الحسيين يرى أن العقل امتداد للحس . « والواقع أن الحس قد يذهب في إدراكه بعيداً جداً، ويستدل بالجزئي على الجزئي نوعاً من الاستدلال »(٢) .

وعلى فرض التسليم بصحة مذهب التطور وتطبيعه على الإنسان، فلا بد من العثور على هذه الحلقات المفقودة بين الإنسان وبين هذه الحيوانات الراقية، ومعرفة أصله الذي نشأ عنه .

ولكن حتى الآن لا يعرف التطوريون شيئاً عن هذا النسب القريب، وليس عندهم إلا أن يعتذروا على عدم معرفته «على أنه لا ينبغي لنا أن نشغل أنفسنا بشكل جدي أكثر من اللازم بما حدث لأسلافنا منذ مليوني جيل على الأقل ومع هذا يبدو أن البحث عن الحلقة المفقودة سوف يتضح عبثه »(٣) .

« ومهما يكن من أمر هذا النظريات .. فيلوح أنه مما لا شك فيه أن المضمون الإيجابي التطورات البيولوجية الأساسية يفوق العلم مما يترتب عليه أن هذه التصورات ليست إلا تصورات سلبية إذا تكلمنا — عنها بلغة العلم »(٤) .

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة :٣٥٥ يوسف كرم

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة : ٣٥٣ يوسف كرم

(٣) العلم يدعو إلى الإيمان : ١٤٥ . نقلا عن الفكر المادي الحديث : ١٣٤ . د / محمود عثمان

(٤) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة : ٢١١ إميل بوترو

نظرية « مندل » :

قلنا فيما سبق : إن « داروين » كان على علم بأثر الوراثة ، ولكنه لم يكن يعلم شيئاً عن الكروموسومات والجينات ، مما أعجزه عن فهم طريقة انتقالها وتأثيرها . وقد سبب له ذلك كثيراً من الحرج في كلامه عن التطور ، وظل الأمر على ذلك حتى جاء « جريجور مندل » القساوى فأحيا فكرة « داروين » ثانية بأبحاثه التي أدت إلى صياغة قوانين الوراثة العادية صياغة جديدة حفزت العلماء للبحث عن آليتها « فقد اكتشف في بذرة النسل ذاتها أجساماً تدعى « الكروموسومات » قوامها خيوط خرزية أو حبيبات من الجينات .

وهذه « الجينات » تأتى أزواجاً من كل والد « جينة » واحدة ، ولكل زوج وظيفة معينة في إحداث العضوية الجديدة ، بحيث أن تغيراً في أحدهما يعدل العضوية في ناحية معينة .. وكل مظهر هو نتيجة تفاعل عدة جينات »(١) .

والجيل الجديد بحسب قوانين مندل يحوى خاصات الأبوين إلا أنها مرتبة بشكل مختلف فالمورثات(٢) التي تحمل صورة الحياة عالمة لكنها تتبع ترتيباً مختلفاً في كل جيل جديد »

أما الأنواع الجديدة فلا يمكن لها أن تكون إلا بإعادة ترتيب هذه الخاصات .. وفي المدى الطويل يطرأ على أحد هذه المورثات اختلال في نظامه فيتحول إلى مورث مختلف كلياً عما سبق — وهذا المورث في قليل

---

(١) تكوين العقل الحديث : حـ٢ صـ ١٥١

(٢) أي الجينات .

من الحالات — يحبو صاحبه عما يميزه عن مزاجيه فيمكنه ببطء وتأكيد أن يجعل من نفسه سيداً عليهم .. وإذا نحن جمعنا حصيلة جميع التحولات الفجائية ، وجميع عمليات الانتخاب الطبيعي التي اهتملت في مدى مليار من الأعوام فمن المفترض أن يتوفر لنا تفسير لتاريخ النشوء والارتقاء(١) .

وهذه « النظرية الداروينية الجديدة » كما يسمونها ، ما تزال في تطور وتعديل هي الأخرى حتى اليوم .

وفي الحقيقة أن هذه النظرية أيضا لا تفسر لنا أسباب هذه التغيرات

« إن الصعوبة الكبرى في تقييم هذه النظرية تكمن في أنها ليست تامة فهي وصف كيفي أكثر منها نظرية عليه مضبوطة . . إن النظرية لا تقول الشيء الكثير في الواقع .

فالقول بأن التغيرات المعروفة كان يمكن لها أن تتأتى بواسطة العمليات التي ذكرت لا يشكل تفسيراً لهذه التغيرات . . إن الكثيرين من علماء البيولوجيا يشكون في قدرة الداروينية الجديدة على تعليل سرعة التطور »(٢).

والعجيب من أمرهم أنهم يزعمون أنه ليس ثمة حالة من حالات النشوء والارتقاء إلا ويمكنهم تفسيرها .

---

(١) الفيلسوف والعلم : ٢٨٥ — ٢٨٧

(٢) الفيلسوف والعلم : ٢٧٨ — ٢٨٩

قيمة النظرية من الوجهة العلمية

يقول : « ر . س . لل » لقد ظلت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد يوما بعد قوم بعد « داروين » حتى انه لم يبق لدى المفكرين، والعلماء شك فى أن هذه هى الوسيلة المنطقية الوحيدة التى تستطيع أن تفسر عملية الخلق وتشرحها »(١)

ولكن هذه النظرية التى أجمع العلماء على صحتها — كما يزعم ال — هل جاءت نتيجة للملاحظة العلمية والتجريب ؟ أم أنها كانت نتيجة إيمان بصحة النظرية فى مقابلة الايمان بالله والدين ؟ .

يقول « السير أرثر كيث » وهو أحد المتحمسين لنظرية الارتقاء . إن نظرية النشوء مازالت حتى الآن دون براهين ، وستظل كذلك . والسبب الوحيد فى أننا نؤمن بها هو ، أن البديل الوحيد الممكن لها هو الايمان بالخلق المباشر ، وهذا أمر غير وارد على الاطلاق »(٢)

وهو يسلم بأن هذه النظرية ليست بملاحظة ، أو تجربة ، وإنما هى مجرد عقيدة

ومن كلماته : أن نظرية الارتقاء عقيدة أساسية فى المذهب العقلى(٣)

ويقول « واطسون » الأستاذ بجامعة لندن : إن علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار ، أو الاستدلال المنطق ، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر فكرة بعيدة عن التصور .

(١) الإسلام يتحدى : وحيد الدين بن خان : ٦٦ ترجمة ظفر الإسلام خان المختار الإسلامى ١٩٧٧

(٢) نظرية التطور : ٢١٩ . د : محفوظ عزام .

(٣) الإسلام يتحدى : ٦٦

ويضيف «داوسون» إلى هذا . أن «هذا الاعتقاد هو نوع من الإيمان الأعمى الممتزج بالخرافة»(١) .

ومن هنا يصبح واضحاً أن مذهب التطور الداروينى مدين بوجوده فقط لذلك الرفض العنيد للإيمان بوجود الخالق .

كما يتضح لنا أيضاً وباعتراف أنصار النظرية أنها لم تقم على المنهج العلمى الصحيح وإنما قامت على مجرد الإيمان بحقيقتها فى مواجهة الإيمان بمبادىء العقيدة الدينية .

ولكن ما الذى جعلها تحظى بالقبول لدى العلماء ؟ وما الذى يجعل شيئاً غير قابل للملاحظة أو التجربة حقيقة علمية ؟

يقول : ما ندري فى سبب ذلك :

أولا : إن هذه النظرية توافق جميع الحقائق المعلومة .

ثانيا : فى هذه النظرية تفسير لكثير من الوقائع التى لا يمكن فهمها إلا من طريقها :

ثالثا : لم تظهر ، بعد ، نظرية تناسب ، وتوافق الحقائق بهذه الدقة(٢).

ولكن هل يكفى ذلك لصحة النظرية من الوجهة العلمية لتصبح نظرية النشوء والارتقاء حقيقة علمية تتمتع بمثل هذا الزيوع والانتشار ؟

إن نظرية النشوء والارتقاء الحيوى أشبه ما تكون بالثوب الخلق المهلهل الذى تتخلله الثقوب والفجوات فى كل مكان منه :

وحسبنا أن نلمـــح إلى شيء من ذلك فيما يتعلق بعناصر النظرية وأصولها .

---

(١) نظرية التطور : ٢١٩، ٢٢٠ د : محفوظ عزام

(٢) الإسلام يتحدى : ٦٦

١ — النشوء:

إن أعمال كل من «داروين» ، ولا مارك كانت على الكائنات الحية ، أو المفترضة من حيث هي موجودة بالفعل أو كانت موجودة على ظهر الأرض في يوم ما . أما كيف نشأت المادة الحية نفسها التي تحولت بعد ذلك بواسطة الانتخاب الطبيعي والتطور الخلاق إلى أنواع الحياة المختلفة ؟

فهذا لم يستطع داروين ولا من أتى بعده من التطوريين أيضاً أن يجيب عليه إجابة شافية ، كما رأينا من قبل ومن ثم فقد اعتبر العلماء الخروج من المادة الجامدة إلى المادة الحية نقلة لم يستطع العلماء حتى اليوم تفسيرها يقول الدكتور «كوتانت»: إن مسألة الحياة على هذه الأرض كيف نشأت مسألة لا تزال إلى اليوم غامضة كغموضها عند داروين وفي أيامه(١) .

ويقول «د.ف هـ . متراي» : إن الآراء التي تحاول تفسير أصل الحياة كثيرة .. وأنا لا أستطيع أن أسميها بأكثر من أنها خواطر .. إنه فيما يختص بمسائل أصل الجراثيت ، والبترول ، والحياة فسوف ننظر إلى ما كنا نقوله فيها في عام ١٩٥٠م عند حلول عام ٢٠٠٠م ونعجب من أنفسنا كيف قلناه ، وكيف أسفناه »(٢) .

وهذا لم يقل «داروين» ، وقد كان صادقاً أكثر من غيره من الماديين التطوريين ، إن التطور يفسر خلق الحياة بل غاية ماذهب إليه أن التطور يفسر تعدد الأنواع وأختلافها .

---

(١) مواقف حاسمة ٧٦ نقلا عن الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ٥٣

(٢) مواقف حاسمة ٤٠٦ ، ٤٠٩ نقلا عن الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ٥٤

أما سر الحياة فيقول «داروين» إنني لا استطيع أن أدعى بأنني ألقى أقل بصيص من الضوء على مثل هذه المشاكل العميقة فإن سر بداية الأشياء أمر غير قابل للحل»(١) (إلا أنه يصر على ماديته فيأتى أن يكون ذلك بتدخل الإله).

وهكذا يبقى السؤال الذى لم يجب عليه أنصار المذهب الآتى : من أين أتت المادة ؟ دون إجابه .

كما يبقى السؤال الذى لم يجب عليه أنصار المذهب الدنيامى: من أين أتت الطاقة التى تنتج المادة أيضا دون إجابة .

كذلك يبقى نفس السؤال فى مذهب التطور والنشوء : من أين أتت الحياة ؟ دون إجابه كذلك .

إن التكهن ببداية سر الكون : مادة ، أو طاقة ، أو حياة ما يزال لغزا لا يحله حلا فى هذه المذاهب جميعا ، فلا يدرى أحد شيئا عن الحقبة التى سبقت وجود غاز « الأيدوجين » فى الفضاء ، ولا كيف تحول هذا السديم الأول لتكون منه هذه المخلوقات العجيبه .

فذلك مرجعة إلى عالمه ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون(٢) .

٢ — الميل نحو التغير :

إن عملية نشوء الأنواع نتيجة عملية التغير الحادث فيها عن أصل واحد سواء أكان هذا التغير خفيفا مستمرا كما يرى «داروين» ، أو كان فجائيا منقطعاً كما عند الداروينية الجديدة .

وسواء كانت هذه التغيرات عشوائية ، أو كانت موجهة تنحو نحو واقع حياتى معين . . على فرض التسليم بصحة هذا أو ذاك فإن النظرية لا تعدو

---

(١) مجلة تراث الإنسانية : م ١٤٠٩ سنة ١٩٧١ (٢) النور ٢٤

أن تكون «وصفا كيفيا فقط ولا تصلح أن تكون نظرية علمية بالمعنى الصحيح .

« فالقول بأن التغيرات المعروفة كان يمكن لها أن تأتي بواسطة العمليات التي ذكرت لا يشكل تفسيرا لهذه التغيرات .. إن التعليل المناسب هو الذي يمكننا من التكهن بالنتائج قبل حصولها ، غير أنه ما من نظرية في النشوء والارتقاء تمكننا اليوم من القيام بتكهنات على هذا الغرار .

ولو أتيح «داروين» أن يعيش منذ خمسين مليون عام فلا شك في أنه ما كان ليستطيع التكهن آنذاك بحدوث هذه التغيرات ، حتى ولو كان يعلم كيفية تبدل البيئة .

لذلك فإنه لا يمكن الاستناد إليها — كنظرية علمية — في التعليل اليوم .

« إنها مجرد هيكل للتعليل ينتظر ملؤه بالتفاصيل فيما بعد .. وليس بإمكاننا التحقق القاطع من هذه النظرية إلا بعد أن تبلغ درجة من الكمال يمكن لها عندها القيام بالتعليل بحق . وسوف نرى عندئذ هل تستطيع تعليل سرعة النشوء والارتقاء »(١) أم لا ؟

إننا ، إذا قلنا إن هذا النظام العجيب هو نتيجة التطور ، اقتصر قولنا على ما حدث ، ولكنه لا يزودنا بفهم سبب حدوثه ، ولا بطريقة حدوثه : لا كيف حدث ؛ ولا لماذا حدث »(٢) .

يقول الأستاذ إسماعيل مظهر : إن نشوء العضويات وتطورها كان ذا قفزات لجائية إلى التغاير على صفة من الصفات .. خضوعا لسنن تجهلها الجهل كله »(٣) .

---

(١) الفيلسوف والعلم : ٢٨٧—٢٩٢ جون كيمني

(٢) رؤى العقل : ١٤٧

(٣) ملقى السبيل : ٢٤٣

ولهذا يسلم علماء الحياة اليوم بأننا لا نعرف شيئا عن اصل الأجناس الجديدة بالمعنى الدقيق للكلمة .. وما تزال كلمات «ت .هـ. مورجان» تلخص الموقف : إن أسباب التغيرات التى تؤدى إلى ميزات جديدة لا نعرفها» .. «ومع أن جريجور مندل قد أدى عمله إلى صياغة قوانين الوراثة العادية، وكان حافزاً للبحث عن آليتها .. ومع أننا لاحظنا عدداً وافراً من التغيرات إلا أن هذه المعرفة فى الوراثة لم تنجح فى الكشف عن أسبابها»(١) .

ثم إن النظرية لا تذكر لنا شيئا عن السبب الكامن وراء هذه التغيرات ولماذا تميل الكائنات الحية إلى التغير ؟ . أو لماذا يحدث التغير الفجائى أو التلقائى ؟ وكيف ؟ .

«إننا لا نعلم إلا القليل نسبيا عن الطريقة التى تتحكم بها المورثات فى الخاصات ، ثم نعلم أنه بالإمكان بالنسبة لتركيب وراثى معين أن يصار إلى تغيير لمظهر الخارجى للفرد بواسطة طرق حيوية مختلفة .

ولكن إلى أى حد تتفاعل البيئة مع المورثات لا يجاد المميزات الطبيعية »(٢) ؟ لا نعلم .

إن « داروين » وغـــيره يتخذون من التغير العرضى معياراً لتغير الأنواع أنفسها .

ثم ما هى الأنواع التى يتحدثون عنها ؟ إن اختلاف الأنواع وتغيرها من نوع إلى آخر يتوقف على تحديد النوع ومعرفة معناه، وحتى الآن لم يستطع داروين ولا من أتى بعد تحديد النوع تحديداً يوضح لنا معنا .

---

(١) تكوين العقل الحديث : ١٥١

(٢) الفيلسوف والعلم : ٢٩٨ جون كيمنى

يقول « جزا هام كانون » : إن مشكلة النوع قائمة بين ظهرانينا اليوم على حالها الذى كانت عليه فى أيام داروين ، والواقع أنها مشكلة مزمنة لم تفارق المشتغلين بعلوم الحياة قط »(١).

وقد كان متعينا عليهم أن يحددوا لنا معنى النوع تحديد قاطعاً لنعرف أيها قد تطور عن غيره ، ولنفصل بين ماينتج عن الأضراب من « الهجين » وما ينتج عن الأنواع من « الأنغال » أو « الأبغال » .

وأظن أن هذا الأخير : أعنى التزاوج بين الأنواع والذى ينتج لنا ذرية عقيمة لا تلد فيه دليل واضح على أن الأنواع لا تتغير إلى غيرها ، بل تقف الذرية العقيمة حدا فاصلا بين الأنواع .

إن غالب التغيرات التى تحدث وتشاهدها إنما تكون فى حدود النوع الواحد وهو ما تسميه « بعملية التهجين » أما بين الأنواع فلايحدث التزاوج وإن حدث جاءت الذرية عقيمة كما بين الحصان والأتان ، وهـــذا فقد « علت الصيحة من جوانب العالم الجديد — فى أمريكا — منذ سنين بأن نظرية داروين فى أصل الأنواع لا تتفق والمشاهدات الدقيقة التى قامت بها فئة من العلماء الطبيعيين وعلى رأسهم العلامة « باتـون » ، حيث صرح فى الاجتماع الذى عقدته جماعة تقدم العـــلم فى أمريكا بمدينة « تورنتو عام ١٩٢١ » .

يقول : إن جزءا جوهريا من نظرية النشوء العضوى ذلك الجزء الذى يبحث فى أصل الأنواع وطبيعتها لا يزال فى خير الآراء المستعصية على العلم ، وإننا اليوم لا نشعر ذلك الشعور الذى كنا نشعر به من قبل والذى كان يوحى إلينا بأن منهج التغاير هو بدء عمـــل عضوى خطير لا يحتاج

---

(١) نظرات فى تطور الـكائنات الحية : ١٢٨ .

لسوى مر الزمان لكى يبلغ كماله ومنتهاه ، (١) .

ثم لماذا يحرص التطوريون على أن يرجعوا أصل الأنواع إلى نوع واحد هو الذى نشأ على جرثومة الحياة الأولى ؟ فما الذى يمنع إن صحت هذه النشأة فى بقعة ما من الأرض أن تحدث أو يحدث مثلها فى بقاع أخرى ما دامت المؤثرات الطبيعية واحدة ، والظروف التى تحيط بهـذه النشأة يمكن أن تكون موايته فى أماكن متعددة ؟

ومن ثم تكون هناك أصول للأنواع ، وتنشأ العضويات من هذه الصور الأولى للحياة متنوعة ومختلفة .

٣ — الانتخاب الطبيعى :

لقد بين « داروين » أن الطبيعة تنتخب الأصلح للبقاء ، ولكن ما هى الكائنات الأصلح ؟ إنها الكائنات التى تبقى ، ومؤدى قوله على هذا : أن الطبيعة تنتخب للبقاء تلك الكائنات التى تبقى ، ولكن كيف نضع هذا الحكم موضع التجربة والاختبار ؟ ! ، وعلى أى قانون تستند الطبيعة فى انتخابها ؟ .

ثم لماذا نرى كثيرا من الكائنات الحية البسيطة تحتفظ بكيانها ، وبقائها ثابته وقد حازت أعظم الكفاءات التى أهلتها للبقاء أزماناً متطاولة ، كالبكتريا ، مثلا ، وهى كائن بسيط يتركب من خلية واحدة ، ومع ذلك فلها القدرة على قهر الظروف البيئية غير الملائمة وتتحدى الطبيعة ، وهو أمر لا يتفق مع قوانين التطور ، على حـين نرى أنواعاً متطورة تنقرض وتتلاشى ، كالديناصورات ، وغيرها ؟ ! .

---

(١) الإسلام والاتجاهات المادية المعاصرة : ٤١ د فرغلى .

واذا كان التطور والنشوء مستمراً فلماذا نرى أنواعاً تختفي وتنقرض، ولا نرى أنواعاً تظهر ؟، وقد كان من مقتضى النظرية أن تتطور تلك الكائنات وفقا للأحوال الطبيعية ، والظروف البيئية بحيث تضمن لنفسها إستمرار البقاء النوعي ، بدل أن تنقرض وتختفي .

ثم إن الواقع الذي نشاهده يختلف تماماً مع قانون الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح فإن العالم بعد أن سلخ من عمره هذا الزمن الطويل ما زال يزخر بالأصلح ، والصالح ، وغير الصالح كذلك من جميع الأصناف والأنواع بدأ من الأميبا إلى الإنسان .

فلو كان قانون الانتخاب صحيحاً لكان من أبسط مقتضياته أو يتجاوز موكب السبق نقطة البدء مهما كانت حركة التطور بطيئة ، ولكن ما زال الحياة تشهد هذه الحيوانات الضعيفة والبسيطة وما تزال هذه الكائنات تعيش حرة تتمتع بكل خصائص الحياة ومميزاتها .

ثم ، إذا كان مبدأ الاصطفاء الطبيعي هو مبعث التطور المستمر في الكائنات الحية ، وكان هذا التطور يتجه دائما شطر الأصلح فلماذا لا نجد القوى العاقلة في كثير من الحيوانات الأكثر تقدما وارتقاء ؟

ثم لماذا لم تكتسب الفردة العليا من القوى العاقلة بمقدار ما كتسبه الإنسان ؟

لقد عرض داروين لهذه المشكلة التي وجهها إليه أكثر من كاتب ولكنه لم يجب عليها ، وانما علق عليها بقوله : أننا لا ينبغي لنا أن نعثر على جواب معين على هذا السؤال إذا ما عرفنا أننا لا جرم نعجز عن الإجابة على سؤال أقل من هذا تعقيداً » ، ومرة أخرى يقول : طالما تساءل بعض الباحثين كيف أن أثر الانتخاب الطبيعي مادام بالغا إلى الحدود البعيدة القصية لم يستحدث في أنواع معينة تراكيب أن إستحدثت فيها كانت ذات

فائدة كبيرة لها ، غير أنه مما يضاد بديهة العقل أن نحاول الإجابة على هذا السؤال وأمثاله إجابة بينه ، إذا ما قدرنا مبلغ جهلنا بتاريخ كل نوع من الأنواع »(١) .

إن نظرية الاصطفاء الطبيعي لا تفسر ولو من جانب بعيد أكثر الحقائق وضوحاً فيما يتعلق بالعملية كلها .

ونعني بذلك اتجاه الكائنات الحية نحو الارتقاء . فلو أن مجرد البقاء كان المطلب الوحيد فإن نوعاً من الحياة البدائية يبدو لنا كافياً ليفي بالغرض .

ويبدو لنا في هــــذه الحال أيضاً أنه لن يكون هناك ما يستدعي حتما ظهور هذا النوع من الحياة البدائية . لأن مثل هذه الحياة لا يرجى لها منافسة الصخور والجمادات في الاستمرار والبقاء .

إن الانطباع الذي يراودنا . . هو : أن علماء الحياة لا يستطيعون الافتراض بأن التقدم الفعلي للأحياء يمكن أن يفسر ضمن شروطهم »(١) .

ومن ثم فقد عدلت الداروينية الجديدة عن مبدأ انتخاب الأصلح لتقول بالطفرة التي تحدث فجأة وبالمصادفة ، ثم تنتقل بعامل الوراثة إلى السلالة . ومنها تتكون الأنواع ويكون التغاير والاختلاف .

ومع الاعتراف بما للوسط الذي ينشأ فيه الكائن من أثر ثابت على كمية التغير ونوعيته .

ومعنى هذا أن الداروينية الجديدة التي تزعمها العالم الهولندي : دي فريز . لا تقبل فكرة الاصطفاء التي طنطن بها داروين وبالغ في أثرها .

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية ٣١٤ د : محمد سعيد البوطي .

(٢) مجـــلة عالم الفكر : م١٢ . ع ٢ — يوليو وأغسطس وسبتمبر ١٩٨١م : ٢٢٨

٤ — الصدفة أو المصادفة :

تقوم نظرية التطور فى أهم مبادئها على المصادفة العمياء لا سيما :

١ — فى خروج المادة من حالتها الراكدة الأولى — إلى الحركة — ثم فى ظهور الحياة فى البروتوبلازم والحيوانات البعدية .

٢ — فى حدوث التغير ، وتطور الأنواع المعقدة عن الأنواع البسيطة الأولى .

٣ — فى تكوين الأجهزة الحيوية المعقدة كالعين فى الحيوان ، والمخ فى الإنسان ، وغيرهما .

وإنه لمن العجب فى نظرية التطور أن يكون مخ الإنسان نتيجة لتغيرات عشوائية مرتجلة وأن نخرج المصادفة العمياء التى لا تعقل هذا الجهاز الدقيق العجيب فى تركيبه ووظائفه .

« إن نظرية الانتقاء ، أو الاصطفاء الطبيعى لتبدو مليئة بالفجوات عندما ندرس بالتفصيل .

إن المرأ ليتقبل بسهولة — التفسيرات الفزيائية المحضة — ولكن لا بد له من بذل مجهود عظيم حتى يستطيع الاعتقاد ولو مؤقتاً بأن جميع التطورات التى حدثت للكائنات الحية — جاءت نتيجة لتغيرات عشوائية والصراع من أجل البقاء »(١) .

إن التطور المفروض هو تطور تقدمى دائماً على أساس الطفرة ، أو التدرج البسيط ، فهل من شأن الطفرة أو التدرج أن ينطوى على هذا

(١) مجلة عالم الفكر م١٣ ع ٢ : ١٢٨

التطور التقدمى المطرد . دون هداية وبطريقة عشوائية ؟ ولماذا لا تتجه الطفرة الى التدرج نحو الهبوط بدل الصعود ، أو نحو الانتكاس أو الانتقاص بدل التقدم أو الكمالى ؟ إذا كان ذلك عن طريق المصادفة والاتفاق .

« إن الخطأ الرئيسى الذى وقع فيه جميع هؤلاء العلماء هو أنهم تجاهلوا وجود خالق مبدع جبار هو الذى خلق الكون وأبدعه ، فقد تكون الحيوانات انحدرت من حيوانات سبقتها وتطورت وارتقت .

ولكن ما هى القوة التى تقف وراء ذلك كله وتحركه فى دقة مذهلة نحو هدف معين فيه ارتقاء وكمال ؟

إنه بلا شك خالق هذا الكون الذى تعجز عقولنا عن إدراك مبلغ قدرته وعظمته مهما تخيلناها »(١) .

يقول الأستاذ « دوبجانسكى » : إن الزمن قد حان لاستبدال قوة الانتخاب الطبيعى العمياء بتوجيه واع قائم على معرفة طبيعة الإنسان وقيمه فالقول بأنه لم يكن بد من أن تسمو الأفعال الطبيعية على نفسها لكى تخلق الحياة أولا . ثم لتولد الوعى والقيم الإنسانية من المادة الجامدة يعترف بأن نظرية التطور فى قالبها الحاضر لا تستطيع أن تفسر بزوغ الإنسان من العالم الجامد غير الحى)(٢) .

---

(١) رؤى العقل : ١٦١ ريفية ديبو . وانظر أيضاً « كانون » نظرات فى تطور الكائنات الحية : ٢١٣ ، ٢١٤

(٢) مجلة عالم الفكر : ع٤ م٣ — نقلا عن د/ فرغلى : ٦

٥ — الحلقات المتوسطة :

يقول « داروين » إن الشطر الأعظم من مجموعتنا الحفرية ، وصور الكائنات المتحجرة غير كامل » .

« و إن الملاحظات الجيولوجيه التى تؤيد — المذهب — على حالة من الاضطراب والنقص قل أن تسبق إلى حدث الباحثين »(١) .

وهو يعتذر عن عدم وجودها ، أو إمكان العثور عليها نظر للنكبات الطبيعية ، والتغيرات التى تطرأ على الأرض والحياة من الزلازل والبراكين ، والفيضانات ، والأعاصير التى كانت تنتاب الأرض فتحول اليابس إلى بحار ، والبحار إلى يابسة ، والسهول إلى جبال أو هضاب وهكذا بما ذهب ببقايا تلك العصور القديمة ، وطمس معالمها ، وقذف بها فى طيات العدم مما لا يمكن معه العثور على معالم تلك العصور ، اللهم إلا بعض الأصداف ، وبقايا حيوانات متفرقة هنا وهناك .

يقول : « داروين » الحقيقة أن علم الجيولوجيا لا يحبونا بتلك السلسلة المنظومة من الصور العضوية ، والراجح أن يكون هذا الاعتراض أنكى ما يقوم فى وجه التطور »(٢) .

وهكذا يعترف «داروين» أن نظريته تفتقد أهم أدلتها . وهى بذلك تفتقد ولا شك أساسها التجريبى عندما تعجز عن تقديم مشاهداتها للحلقات المتوسطة . وتقوم بذلك على مجرد الإيمان والعقيدة بوجود حلقات تربط بين كثير من الأنواع الحية ، وحلقات تربط بين أنواع حية وأخرى منقرضة . إلا أن بعض هذه الحلقات مفقودة .

---

(١) ملقى السبيل : ٢٥٦

(٢) المرجع السابق : ٢٥٨

وعجز المذهب عن معرفة هـذه الحلقات المتوسطة التي تربط بين الأنواع ، وعدم ، وضوح جزئيات التحول الحقيقي دليل واضح على أن المذهب يعتريه النقص الفاضح الذي يحول دون أن يجعل منه نظرية علمية بالمعنى الصحيح .

ثم لماذا الاعتذار والتعلل لعدم معرفة الحلقات المفقودة أو مشاهدتها. والحلقات المفقودة يجب أن نراها الآن دون أن نبحث عنها في الحفريات أو غيرها مادام التطور مستمرا ، والطبيعة تنتج هذه الحلقات في كل وقت وما دامت سنن الطبيعة تعمل عملها(١) .

٦ — الإنسان :

لقد ظل العلم يتحدث عن المـادة وقوانينها ، وكيف تطورت من الأدنى إلى الأعلى ، من الأبسط إلى المعقد ، وهو يمضي في حديثه بخطوات ثابتة ، وإيمان عميق .. ولكنه عندما انتقل من المادة الجامدة إلى الحياة وأبنائه يتعثر ، ويفارقه ثباته ، وينتابه القلق والاضطراب والتخبط ، ويلوذ بالغموض والفروض التي لا دليل عليها .

إن المادة الجامدة التي كانت تبدو ثابتة قد أصبحت متحركة . مرنة . نامية ، تتغذى وتتنفس ، وتلد .. لماذا ؟ ، ومتى ؟ . وكيف ؟ لا يستطيع العلم أن يجيب على هذه الأسئلة جوابا شافيا .

ولهذا فهو يعترف بأن هذه ، فجوة ، أو ثغرة لا بد من سدها .

ومع ذلك تتخطى العلم هـذه الثغرة ليسير بعدها في رحلة التطور من الكائنات البسيطة متدرجا في سلم الرقي ، حتى إذا وصل إلى القرد وأراد

---

(١) الإسلام والاتجاهات المادية المعاصرة : ٤٧

أن يعبر منه إلى الإنسان تعثر من جديد كما تعثر من قبل ، وتلعثم . وتزعزع يقينه . إذا وجد نفسه إزاء فجوة كتلك التي صادفها من قبل بين المادة الجامدة ، والمادة الحية »(١)

ولهذا اضطر العلماء إلى القول بوجود حلقه أو حلقات مفقوده تمثل التطور بين القردة والإنسان .

وكعادتهم يقفزون من القردة إلى الإنسان فوق هوة سحيقة .

والقصة — كما يقول « جوزيف وودكراتش » .. غير معقولة ، وهي بنوع خاص قصة من قصص الأباطيل إذا أعتبرنا أن المصادفة البحته ، والعمى التام ، وعدم وجود عقل هي التي أنجزتها دون أختيار ، أو قصد أو نية حتى كان الإنسان ، أو مايشبه الإنسان مزوداً بعقل خلق دو تدخل العقل(٢) !!

يقول الأستاذ : يوسف كرم : قد نسلم بالتطور .. ولكنا نرانا مضطرين إلى إعتبار الإنسان نوعاً مستقلا قائماً بذاته بسبب ما يختص به من علم ، ولغة ، وفن ، وصناعة ، وخلق ، ودين . وهي مظاهر للعقل لا نظير لها ، ولا أصل في سائر الحيوان .

وقد نسلم بالتطور ثم نرانا مضطرين إلى الإقرار بموجد للمادة ، موجه لها . لقصور المادة عن تنظيم نفسها ، ولكن من العلماء من يفكر كالعامة بالمخيلة دون العقل فيسيغون المحالات »(٣).

---

(١) الطاقة الإنسانية : ١٧٩ . الأستاذ : أحمد حسين .

(٢) تسبح الحياة : ٢٤١ بتصرف في اللفظ .

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة : ٣٥٥

« إن أقدم أصل للإنسان ككائن منتصب القامة — عند التطوريين وعلى حسابهم — يرجع إلى نحو مليون سنة فقط حيث يلتق فى هذه الفترة بأصله — الأول — » .

رغم هذا فقد أعلن « د . ريتشارد ليكى » ، مدير المتحف الوطنى فى كينيا أخيرا فى نوفمبر سنة ١٩٧٢ م أمام الجمعية الجغرافية الوطنية فى واشنطن عن بقايا جمجمة بشرية يرجع تاريخها إلى مليون ونصف مليون سنة وعن عظام ساق ترجع إلى تلك الحقبة ذاتها . وهـــذا يدل على أن الكائن البشرى المنتصب القامة كان معاصراً للسلالة الشبيهة بالقردة ، وليس منحدراً عنها .

وليس من شك فى أنه لو صحت هذه — الكشوف وتاريخها — لهدمت نظرية التطور الداروينى من أساسها ودعمت نظرية الخلق المستقل » (١)

ولهذا يقول « سوليفان » : إن الانطباع الذى يراودنا بين وقت وآخر هو أن علماء الحياة لا يستطيعون الاعتراض بأن التقدم الفعلى للأحياء يمكن أن يفسر ضمن شروطهم التى يتمسكون بهـــا . اللهم إلا من طريق الإيمان الخارق » (٢) .

إن نظرية التطور الحيوى أو العضوى ، على فرض التسليم بها لا يمكن أن تفسر ، ولا أن تبرر إلا على ضوء وجود علة ، أو قوة ما تسوق الحياة والأحياء فى سلم التطور صوب الأحسن والأرقى .. وإلا غدت العملية من أساسها لغزاً مبهما الأمر الذى دفع بعض العلماء إلى البحث عن بعض

---

(١) الإسلام والاتجاهات المعاصرة : ٥١ نقلا من مجلة عالم الفكر يناير وفبراير سنة ١٩٧٣ م

(٢) حدود العلم : ٦

المفاتيح مثل : (القوة الحيوية) ، أو (قوه التحقيق) أو (الروح) وما إلى ذلك .. لكنهم لن ينجحوا فى تعريف هذه المصطلحات ، وتحديد مضامينها بحيث يمكن استخدامها فى الأغراض العلمية وبقيت — هذه — المصطلحات شاهداً على أن المفاهيم الأساسيه الحاضرة لعلم الحياة غير كافية .

(ولو قالوا : « الله » حلت جميـــع الأحاجى والألغاز ، ولو جدوا أنفسهم يتحركون فى الطريق الصحيح لفهم معالة الحياة المعجزة)(١) .

(فذلكم الله ربكم الحق . فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون) .

د : عبد الرحمن محمد المراكبي
مدرس العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية
بالمنوفية

---

(١) مجلة عالم الفكر م ١٢ ع ٢ : ١٢٨ وما بعدها